سحاب الكلام

د. فهد العرابي الحارثي

هامش أرحب .. للنقد!

تذكرت، بعد أن كتبت مقالة الأمس، اقتراحاً مشهوراً للأمير سلمان بن عبدالعزيز وجهه، يومها، الى رؤساء تحرير الصحف، ومفاده أن يفتح هؤلاء زوايا ثابتة في صحفهم، يكون موضوعها نقد الصحفيين انفسهم، وذلك تاكيداً منهم، هم انفسهم، لقيمة النقد، وإقراراً واعترافاً من طرفهم بمشروعيته وضرورته. فالصحفيون الذين يطالبون دائماً بهامش أرحب لنقد الناس، ونقد المسؤولين عن الادارات والمصالح الحكومية والاهلية، هم انفسهم ليسوا في منأى عن النقد، فما من أحد يقول بملائكيتهم، وهم لابد أن يذوقوا طعم الكاس التي «يجرعونها» لغيرهم، إن حلوة فحلوة، وإن مُرّة فمُرّة.

طبعاً .. لم يأخذ أحد من رؤساء التحرير باقتراح الأمير، خوفاً على انفسهم قبل الخوف على محرريهم، وهلعاً على كراسيهم بالقدر الذي يحفظ ماء وجوههم ووجوه محرريهم ايضاً. فلا اكثر من عيوب الصحفيين مهما بدوا على غير ذلك، ولا اكثر من اخطائهم ونقاط تقصيرهم، مهما ادعوا من الإخلاص ومن العلم، ومن العقل، ومن الحصافة، ومن السداد في الرأي.

ونظن أن الأمير كان يريد لهؤلاء أن يجربوا النقد موجّهاً إليهم، موضوعياً وغير موضوعي، باشواك وبدون اشواك، وبدبابيس وبغير دبابيس، لعلهم في النتيجة، وبعد التجربة، وبعد ان يذوقوه بحلوه ومره، يخففون عن الناس استعلاءاتهم، ويرفعون عن الآخرين بعض اذاهم.

ولا اظن أن الأمير قد نسي أن اشرس الخلق في «الحوار» هم المثقفون، واخص منهم الصحفيين بالذات. فكل حوار فيما بين هؤلاء، او فيما بينهم وبين غيرهم، يبدأ غالباً هادئاً وناعماً ورقيق الحواشي، لكنه ينتهي دائماً بالحجارة والطوب وصواريخ الكلام التي تشق الجباه، وتدمي الوجوه، وتاتي على الأخضر واليابس.

لعل سموه، وهو يطرح اقتراحه ذلك، كان يدرك سلفاً أن رؤساء التحرير لن يأخذوا به، فهم احرص الناس على جباههم وصدورهم ووجوههم، لكنه اراد منهم أن يقصدوا في النقد، فيكونوا اكثر هدوءاً، وتكون كتاباتهم أكثر موضوعية مع الآخرين، فلا حيف، ولا ظلم، ولا تهويل، ولا اذى.

تذكرت كل هذا وانا اتحدث في مقالة الأمس عن «الحوار» وعن الصبر عليه، وعن اعتباره بالدرجة الأولى موفقاً، وقيمة حضارية وثقافية وسلوكية، وهو لايمكن ان يتحلى به او يرضخ لشروطه وضروراته ومتطلباته إلا الأقوياء، فالصبر صعب، والاعتراف بالآخر قوة، واحترام ارائه رجولة واخلاق وحضارة.

تذكرت ذلك وانا اقول إن القادرين على «الحوار» قليلون، وان الذين يقبلون بالعيش في مملكته اقل من القليلين.

نحن لاينقصنا في مجتمعاتنا إلا «الحوار» وإلا القدرة عليه، منهجاً كالنور، منبراً كالبهجة.

جريدة البلاد يوم الاربعاء العدد ١٥١٠٦ ٥ جمادى الآخرة ١٤٢٨هـ